The Psychological Purpose of Symbolism in Arabic Poetry, Ancient and Modern

Researcher: Dr. Najat Alwan Al-Kanani
University of Basrah / College of Education for Human Sciences
E-mail: cehs.Iect.161@avicenna.uobasrah.edu.iq

Supervisor: Dr. Suwadi Faraj
University of Basrah / College of Education for Human Sciences

Abstract:

The psychological purpose has an influence on the poet's recourse to symbolism, and one of the Islamic poems that carried symbolic connotations is "Al-Burda" by Ka'b ibn Zuhayr. He began it with a romantic symbolic introduction and employed the Arabian mythological symbol of "Al-Ghoul." He alluded to the "Araquob appointments," an ancient Arab metaphor, to provide a suggestive symbol reflecting his suffering and the hardship he endured due to the failure of others to fulfill their promises to him. In the realm of modern poets, we find Al-Sayyab in his poem "Tammuz Jikur," where Tammuz was one of the mythical symbols through which he attempted to express his poetic experience and suggest the psychological and physical pain within him. As for Jikur, it carried a symbolic significance for the poet, representing a safe place for him.

Key words: Arabic poetry, symbolism, psychological purpose.

الغاية النفسية للرمز في الشعر العربي قديماً وحديثاً(*)

الباحثة: أ.م. نجاة علوان الكناني د. سوادي فرج مكلف
E-mail: cehs.Iect.161@avicenna.uobasrah.edu.iq
جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص:

إن للغاية النفسية أثراً في لجوء الشاعر إلى الرمز، وتُعد قصيدة (البُردة) لكعب بن زهير من القصائد الإسلامية التي حملت دلالات رمزية، فقد بدأها بمقدمة غزلية رمزية ، ثم وظف الرمز الأسطوري العربي (الغول)، وأشار إلى (مواعيد عرقوب) وهو مثل عربي قديم ليعطي رمزاً موحياً يعكس معاناته، والمشقة التي تحملها لعدم الإيفاء بالوعود التي قطعها أصحابها له، ومن شعراء الحداثة نقرأ السياب في قصيدته (تموز جيكور) إذ كان تموز من الرموز الأسطورية التي حاول من خلالها بيان تجربته الشعرية، والإيحاء بما في داخله من ألم نفسي وجسدي، أما جيكور فهو ذلك المكان الذي حمل دلالة رمزية لدى الشاعر، إذ كان يرمز إلى المكان الآمن لديه.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي ، الرمز الغاية النفسية .

* بحث مستل من أطروحة الدكتوراه الموسومة: **ملامح الرمز في الشعر البصري المعاصر (٢٠٠٣-٢٠٢١) .**

المقدمة:

وجد الشعراء في توظيف الرمز غايتهم في التعبير عما في داخلهم من أحاسيس، وحاولوا من خلاله الإشارة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت سائدة في عصرهم، فقد تختزل الكلمة الرامزة سجلاً حافلاً بالأحداث التي حدثت في عصر ما.

إن غاية البحث هي بيان أثر الجانب النفسي في لجوء الشعراء إلى استعمال الرمز في قصائدهم، موضحة من خلال ذلك معاناتهم النفسية، ومدى تأثير هؤلاء الشعراء في الحياة الأدبية والثقافية العربية.

أما المنهج الذي اتخذته في دراستي، فهو منهج التحليل النفسي، للكشف عن الصلة بين النتاج الشعري وطبيعة التجربة الشخصية للشعراء لأن الرموز هي انعكاس لما في داخل الشاعر من أحاسيس مكبوتة لا يستطيع البوح بها مباشرة، موضحة من خلالها مدى تأثر الشعراء النفسي بالواقع المحيط.

قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث فتحدثت في البدء عن الغاية النفسية للرمز، ثم بعد ذلك تناولت شاعراً واحداً يمثل العصر الإسلامي وآخر يمثل العصر الحديث، مبينة أثر العامل النفسي الذي دفع الشاعر العربي إلى توظيف الرمز في شعره، لذا قمت بتحليل النصوص الشعرية لإيضاح ذلك التأثير، فضلاً عن توضيح الأسباب التي قادت الشعراء إلى توظيف الرمز في شعرهم، وبيان الدلالات الرمزية وما تحمله الألفاظ من إيحاءات.

الغاية النفسية:

تتمثل الغاية النفسية للرمز بالتصوير لعاطفة أو صراع أو مخاوف لا واعية، ووفقاً لذلك يمكن اعتبار بعض الألفاظ تعبيراً رمزياً لحالات نفسية ترتبط بذهن الشاعر، فالدافع النفسي يعد هدفاً وغاية لمجيء الشاعر بألفاظ موحية رمزية ترتبط بحدث معين تعرض له، لا يستطيع الإفصاح عنه بشكل مباشر، والرمز في هذه الحالة هو تعبير لمشاعر مكبوتة داخلية لأمور يريد الشاعر التستر عليها، فيأتي بعبارات إيحائية يهدف من ورائها الإشارة إلى الحالة النفسية التي مر بها.

إن الرمز هو تصوير للأحداث النفسية، فكل تجربة شعرية تتضمن عوامل نفسية لا واعية في بعض الأحيان لا يمكن البوح بها مباشرة، فتثير أحاسيس وعواطف عميقة يلجأ الشاعر إلى عدم كبتها ولكن يذهب إلى صياغتها بطريقة موحية، ليتيح لنفسه تحقيق هدفه المرجو وافراغ ما في عقله اللاواعي من مشاعر، فالرغبات المكبوتة هي التي تحتاج إلى التعبير الرمزي، والعبارات الرمزية هي ألفاظ تشير إلى غاية الشاعر لبيان ما في داخله، فعلى سبيل المثال يعد الخوف من المجتمع من الأسباب التي تدفع الشاعر إلى استعمال التعبير الرمزي لحمايته من العوامل الخارجية، إذا ما قام بالتصريح المباشر، فيلجأ الشاعر إلى تشكيل الصور الرمزية للتعبير عن انفعالاته وأحاسيسه الداخلية.

لعل من الأسباب التي تدفع الشاعر إلى اللجوء إلى الرمز هي الحالة النفسية لديه، وذلك لحاجة بعض الشعراء للتعبير عن حالات نفسية معينة يمرون بها، كأن تكون الإحساس بالغربة عن الواقع أو الخوف وعدم الأمان، لذا فـ((إن الرمز حاجة نفسية تنبع من إحساس الشاعر بقصور التعبير المباشر وليس حلية شكلية تضاف إلى العمل الفني من خارجه: جهلاً أو تقليداً أو اصطناعاً لا عمق فيه ولا أصالة)).(١)

إن الشاعر بحسه المرهف يلاحظ ما يحدث من حوله فيعمل بخياله الواسع على توليد صور تترجم عن مكنونات نفسه وانفعالاته وأحاسيسه الداخلية، ويحاول إيصال تجاربه الشعرية عن طريق الإيحاء الذي ((يمثل عنصراً أساسياً مهماً في الأدب الرمزي))(٢) فالشاعر يختار الألفاظ الموحية المعبرة عن إحساسه الداخلي والملائمة لحالته النفسية .

ولبيان الغاية النفسية التي تدفع الشاعر إلى عدم التصريح المباشر بعبارته، فقد تناولت شاعرين لعصرين مختلفين وهما:

١- توظيف الرمز في شعر كعب بن زهير:

من القصائد الرمزية في العصر الإسلامي قصيدة (بانت سعاد)، أو (البُردة)، وهي القصيدة التي مدح بها كعب بن زهير رسول الله (صلى الله عليه واله). وكان الدافع لإنشاد هذه القصيدة هو القلق الذي كان يعيش فيه الشاعر، فقد كانت هنالك ظروف معينة خلف تلك التجربة الشعرية تمثلت بظهور الإسلام ودخول بُجير في الدين الجديد، وإرسال بُجير لكعب بكتاب يطلب فيه أما أن ينجو أو يقدم إلى رسول الله يبايعه على الإسلام.

وتقف التجربة الشعرية التي مر بها كعب وراء إنشاده لهذه القصيدة في حضرة رسول الله (صلى الله عليه واله)، ذلك العمل الفني الذي يحمل في طياته الإيحاء والرمز في التغزل بحبيبته وتشبيه مواعيدها الكاذبة ووصف الناقة، وإن هذا العمل الفني يعد انعكاساً لتجربة الشاعر، فقد رسم لنا من خلاله ما يدور في داخله من قلق واضطراب حول مصيره وما ينتظره من جراء تهديد الرسول له، فكانت هذه القصيدة صورة واضحة المعالم لقدرة الشاعر على نقل تجربته وتمثلها من خلال الصور الرمزية الموحية التي أطلقها عبر أبياته الشعرية المجسدة لحالته النفسية والمصورة لكيفية تحمله الصعاب هو وناقته من أجل الوصول إلى حبيبته.

لقد انبثقت هذه القصيدة من معاناة داخلية لدى الشاعر فجاءت حاملة لدلالة إيحائية بثها الشاعر في مقدمتها الغزلية ووصف الناقة وصولاً إلى غرضها الأساسي المدح ((فقد نظم بردته وهو متأرجح بين الكفر

والإيمان، بين اليأس والأمل، بين الخوف والاطمئنان، فقد كان مهدور الدم...))(٣)، ويمكن أن يعد الخوف الذي كان ينتاب الشاعر هو الدافع الأقوى لقولها.

ابتدأ كعب بن زهير قصيدته بمقدمة غزلية، جرياً على عادة الشعراء، وهو غزل له دلالة وقيمة كبيرة، فهو يدل على تجربة شخصية شعورية، ويوحي برمزية دالة على أعماق الشاعر وخفاياه النفسية وما يدور في عقله من أفكار حول مشكلة يعاني منها، فقد ((يأتي نص الغزل بوصفه بنية كلية محملاً بدلالة رمزية، توحيها- في أكثر الأحيان – الرموز المفردة أو السريعة في النص))(٤). فهذا الاستفتاح الغزلي كان مقصوداً لغرض تهيئة السامع لاستقبال ما يتلقى بعاطفة متفتحة لما سيذكر بعد ذلك، والشاعر حاول تهيئة الأذهان للدخول في الغرض الأساسي لقصيدته، إذ ((يهيء كعب في مدحه واعتذاره للرسول (ص) أذهاننا لموضوعه الذاتي بمقدمة غزلية يبث فيها صورة سعاد، وهي رمز للسعد أو السعادة التي فارقته في أيام شركه، وهجائه، وتعريضه بشخص النبي))(٥).

فيقول: (٦)

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيم إثرها لم يُجْزَ مكبولُ
وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ
هَيفاءُ مُقبِلَةً عَجزاءُ مُدبِرَةً لا يُشتَكى قِصَرٌ مِنها وَلا طولُ
تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت كَأَنَّهُ مُنهَلٌ بِالراحِ مَعلولُ

ويعد اسم سعاد رمزاً قد اختاره الشاعر للوصول إلى غايته، فهو يشكو إلى الرسول حزنه لما أصابه من فراق حبيبته، فقد صار مقيداً بالحب، وهي تئن أنيناً من جراء الفراق، ثم يبين أوصاف جسمها وجمال ابتسامتها.

هذه المقدمة ما هي إلاّ ((صورة رمزية لنفسية الشاعر بكل ما فيها من انفعالات ومشاعر))(٧) ولذا تعد هذه المقدمة التي حملت اسم المحبوبة مقدمة غزلية رمزية أوحت بالجو النفسي المسيطر على الشاعر، وتأثير الفراق عليه بسبب هروبه خوفاً من رسول الله (صلى الله عليه واله).

ويبلغ عدد أبيات هذه المقدمة أثني عشر بيتاً، وسعاد هي المرأة التي ترمز إلى أولئك الذين خذلوا الشاعر، ويتبين ذلك في نقض الشاعر للصفات الجميلة التي بناها لسعاد، فبعد أن ذكر حبه وتعلقه بها وبين الصفات المميزة لها، يشير إلى أنها تتسم بصفات سلبية فيقول في آخر مقدمته هذه: (٨)

فما تدومُ على حال تكونُ بها كما تلونُ في أثوابها الغولُ
وما تمسكُ بالوصلِ الذي زعمت إلا كما تُمسك الماء الغرابيلُ
كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

لقد وظف الشاعر هنا الرمز الأسطوري العربي (الغول) المتميزة بالتلون، إذ تكون مرة شابة ومرة عجوزاً(٩)، فهذه المرأة لا تستقر على حالة واحدة بل هي مثل الغول ((وحقيقة الغول كل ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول والعرب تُسمي كل داهية غولاً على التهويل والتعظيم...)) (١٠).

جاء الشاعر بهذا الرمز الأسطوري للإيحاء بمعاناته النفسية، وإن هذه المرأة أيضاً تتصف بإخلاف العهد ولا تتمسك بوعد، وإن مواعيد هذه الحبيبة كانت كمواعيد عرقوب الذي تضرب به الأمثال في عدم الوفاء بالوعد، وعرقوب هو ((رجل من العمالقة وعد أخاه بثمر ثم صار يقول له: حتى تُرطب، حتى تَطيب، ثم قطعها ليلاً حين حصل نفعها، فصار يضرب به المثل في الغدر.)) (١١)، وما مجيء الشاعر بهذا المثل إلا رمز منه لأولئك الذين واعدوه ثم اخلفوا الوعد، فـ((صارت مواعيد عرقوب لهذه المرأة مثلاً لشهرة اتصافها بالإخلاف))(١٢)، ومن خلال هذا المثل بيّن الشاعر غايته النفسية التي سعى إليها وهي كشف أصحاب الوعود الكاذبة.

ثم يصف ناقته والصعاب التي تحملتها من أجل ايصاله إلى سعاد، ويقع وصفه لها في تسعة عشر بيتاً، وهو يحمل دلالة إيحائية، فهي تسرع للحاق بديار سعاد الجديدة، وهو هنا لا يتحدث عن الناقة وما تواجه من اهوال الطريق، ولا عن القيظ الشديد الذي تعرضت له، وإنما هو يتحدث عن تجربته المريرة وما يعاني من ظروف صعبة وعن التهديد الذي ينتظره، ((فلماذا لا تكون الناقة التي تجاوزت كل الصعاب رمزاً أو ما يشبه الرمز لكعب؟ ولماذا لا تكون الرياح حضوراً أو ما يشبه الحضور لهؤلاء الوشاة؟)) (١٣) لذا تعد الناقة رمزاً إيحائياً يعبر عن المتاعب التي تعرض لها كعب في مسيرته للوصول إلى ممدوحه، وهو حين يصور قوتها وسرعتها ومهارتها وتحملها لظروف الطبيعة القاسية، فإنما هو يحاول تأكيد اقتداره وإصراره على الوصول إلى الممدوح رغم قساوة الظروف، فما تلك الناقة إلا رمز للشاعر نفسه. فيقول:(١٤)

أَمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها ... إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ

وَلَن يُبَلِّغَها إِلّا عُذافِرَةٌ ... فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ

مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إِذا عَرِقَت ... عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ

فما هذه الناقة الكريمة والكبيرة الجسم والقوية التي تتحمل مشقة الطريق إلا هي رمز دال على المتاعب والأهوال التي مر بها الشاعر في طريقه إلى ممدوحه، وبذلك يعد وصف الشاعر لرحلة الناقة رمزاً إيحائياً يعكس معاناة الشاعر والمشقة التي تحملها، وتمتلك هذه الرحلة طاقة إيحائية حاول الشاعر فيها بيان معاناته، فضلاً عن بيان ما تتصف به هذه الناقة من ميزات وقدرتها على تحمل الصعاب، فالشاعر انطلاقاً من غايته النفسية حاول بيان مشقة الرحلة التي قطعها ((إذاً، ليست الرحلة حيلة يحتالها

الشاعر لينال عطاء الممدوح كما رأى بعض النقاد، ولكنها جزء من التكوين الجسدي والنفسي والاجتماعي والذهني والديني لإنسان المنطقة العربية...)). (١٥)

ثم يخاطب الرسول (صلى الله عليه واله) ويمدحه واصفاً إياه بقوله(١٦):

إنَّ الرَسولَ لَنورٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَهِ مَسلولُ

فهنا يمكن ملاحظة جمال التصوير لديه، فقد جمع بين صورتين في غاية الروعة للرسول الأكرم(صلى الله عليه واله)، فوصفه أولاً بالنور، وهو بهذا يرمز إلى الهداية التي حلت بمجيء نبي الهدى إلى البرية، وثانياً وصفه بالسيف رامزاً به إلى القوة والعزة في الله، وإن هذا التصوير الرمزي جاء به الشاعر لبيان الغاية النفسية التي يتوخاها المتمثلة بالغرض الأساسي الا وهو مدح الرسول (صلى الله عليه واله) رجاء لعفوه، فضلاً عن إشارة الشاعر إلى إيمانه بالدين الجديد.

٢- توظيف الرمز في شعر السياب:

ومن شعراء الحداثة الذين وظفوا الرمز في شعرهم توظيفاً ناجحاً الشاعر بدر شاكر السياب، إذ ابتدع رموزاً شخصية فـ((لقد سعى بدر شاكر السياب إلى خلق رموزه الخاصة به، التي تلتصق بعالمه الشعري، كان شديد البحث عن الرمز، لحاجته إليه بسبب أزماته وتقلباته النفسية والجسمية)) (١٧) كما خلق رموزاً أخرى مشتركة، كان لها وقع وتأثير على المتلقي إذ ((تمتع السياب بقدرة فذة على استيحاء الرموز وخلقها والارتقاء بدلالاتها والتوحد معها وإيصال أفكاره من خلالها بأسلوب رائع ونجح في التعبير من خلالها تعبيراً شفافاً يومئ إلى المقصود من طرف خفي...)). (١٨)

وقد حاول السياب إيصال تجربته ونقل معاناته عبر العديد من الرموز الدينية والأسطورية كعازر، والسندباد، وتموز، فكانت هذه الرموز وسيلة للتعبير غير المباشر عن تجارب السياب المريرة والإيحاء بمكنوناته الداخلية، ((فالسياب ظاهرة فريدة في شعرنا العربي الحديث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالرمز.)). (١٩)

وهناك أسباب عديدة اجمع عليها بعض الدارسين دفعت السياب إلى توظيف الرمز في شعره، ومنها:(٢٠)

١- أسباب سياسية ناجمة عن اضطراب الوضع السياسي، وخشية الشاعر من يد السلطة، لكي ينشر شعره دون أن تمنعه الرقابة الحكومية، لذا فهو كان يخشى من بطش النظام في وقتها، فكان توظيفه للرمز تعبيراً عن ثورته ضد الحكم الظالم آنذاك.

٢- تأثره بالأدب الغربي الرمزي، وذلك بعد اطلاعه على أشعار ت. س. أليوت، واديت سيتويل، فقد دفعه التقليد والإعجاب بنتاجهم الشعري إلى تمثل ما قرأه والإفادة منه، وقد خلق رموزه الخاصة به

على وفق ما تقتضيه طبيعة تجربته الشعرية، ولضرورة التعبير الفني بالرمز، فضلاً عن محاولته بيان سعة اطلاعه الثقافي على النتاج الغربي.

٣- أسباب اجتماعية تتمثل بـ:

أ- رغبته بعدم معرفة الناس بعلاقاته العاطفية.

ب- محاولته الهروب من الواقع الذي يعيشه، فلجأ إلى الرمز للتخلص من ذلك الواقع المأساوي.

ج- التعبير عن معاناته النفسية لكل ما يدور من حوله من أحداث اجتماعية أدت به إلى الشعور بالغربة والضياع.

وقد وجد السياب في توظيفه للرمز غايته في التعبير عما في داخله من معاناة، فضلاً عن إشارته إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك، ومن الرموز التي وظفها في شعره هو الرمز الأسطوري ((وهو يستخدم الأسطورة والرمز كما لم يفعل أي شاعر عربي سواه .. عاد إليها الشاعر ليستعملها رموزاً وليبني منها عوالم، ذلك لأن عالم الأسطورة أغنى من عالم الواقع، وهي كذلك نقيض له.)). (٢١)

وقد مر الرمز الأسطوري في شعر السياب بمرحلتين أولهما أن الأسطورة عبرت عن واقع قومي، أي ارتبطت بتجربة موضوعية قومية، وثانيها أن الأسطورة عبرت عن ألم ذاتي أي أنها ارتبطت بتجربة ذاتية تخص الشاعر نفسه (٢٢) فـ((لقد عانى السياب من الحرمان والإهمال طيلة حياته، فآلامه لم تكن بالأمر الجديد عليه بل هي تمتد إلى أيام الطفولة ثم مرحلة إخفاقه في تجاربه العاطفية، ويأتي المرض مكملاً لهذه الآلام كلها ومهدداً لحياته في كل لحظة ...)). (٢٣)

أما بالنسبة لدوافع توظيف الأسطورة فـ((قد استعمل بدر الرمز الأسطوري أما بدافع سياسي مثل تموز وعشتار، فكانت الستار الذي يختفي وراءه، وأما بدافع البحث عن الكلمة البكر التي تمكنه من خلق رؤيا جديدة، فكانت الوعاء الذي يستوعب هذه الرؤيا، وتتلاءم مع التوتر النفسي الذي يعيشه)) (٢٤) لذلك فقد اتجه السياب إلى الأسطورة وأدخلها في شعره وأكثر منها، فتنوعت لديه بين أساطير بابلية ويونانية وصينية ((وعلى الرغم من أن العديد من الشعراء قد عبروا بالأسطورة رمزاً شعرياً، إلا أن بدر شاكر السياب هو الأكثر استخداماً للأسطورة وأعمقهم في الولوج إلى جوهرها، وربطها بالحياة المعاصرة.)).(٢٥)

وقد اعاد السياب صياغة بعض الأساطير بما يتناسب وحالته هو مع المحافظة على ما تحوي تلك الأسطورة من مضامين وصور، فمثلاً كان تموز يرمز إلى الخصب والنماء، فحاول الشاعر أن يعبر بهذا الرمز عما يتطلبه الوضع الجديد من تضحية من أجل العيش بحياة حرة كريمة ((والأسطورة عند السياب لا تقف عند حدود التضمين العابر في القصيدة، إنما هي مضمون شعر يدخل في نسجها الفني وينتظم جزئيات القصيدة في أغلب الأحيان.. خصوصاً أسطورة تموز الذي يرمز إلى التضحية ...)). (٢٦)

فقي قصيدته (تموز جيكور) يتخذ الشاعر من تموز رمزاً دالاً على الخصب والعطاء ((وقد وظف السياب في هذه القصيدة، شخصية أسطورية، هي شخصية تموز إله الخصب في الأسطورة البابلية، التي تربط دورة الطبيعة بحياة الآلهة وموتها)).(٢٧) وتدور هذه الأسطورة حول حب تموز لعشتار الذي أدى إلى موته وهو في عز شبابه ونزوله إلى العالم السفلي، وتموز هو النموذج الأصلي لجميع آلهة الحياة النباتية الذي يُبعث بعده موته مع ولادة النباتات في الربيع(٢٨). فأراد الشاعر من خلال ذكره لتموز الدال على البعث والتجدد، أن يعيد في داخله الأمل المنشود لتجدد الحياة الذي فقده، فربط تلك الشخصية الأسطورية بجيكور، فهي مدينة الخصب والنماء والمحبة لديه.

إن السياب يُحول جيكور تلك القرية من دلالتها الموضوعية إلى دلالة رمزية أسطورية ذات إيحاءات، أملاً منه في شفائه مما يعاني من ألم جسدي، وأملاً في خلاص جيكور تلك القرية الصغيرة التي هي رمز للعراق بأكمله، وما يعاني شعبه من جور وظلم، وبذلك ((تبدو قدرة السياب الإبداعية في الانطلاق من تجربته الفردية، لتجسيد تجربة إنسانية كلية.))(٢٩) لذا فإن جيكور أصبحت ذلك المكان الذي يمتلك التأثير النفسي، الذي ينتقل بدلالته من الخاص إلى العام ومن المحلي إلى الوطن ككل، ولذلك فقد ((أصبح لشعره القدرة على التجاوز الزماني والمكاني، لتدخل أمكنته في حركة الرموز ...))(٣٠) فيقول في المقطع الأول من قصيدته (تموز جيكور): (٣١)

نابُ الخنزير يشق يدي
ويغوص لظاه إلى كبدي،
ودمي يتدفق، ينسابُ:
لم يغذُ شقائقَ أو قمحا
لكن ملحا.

ففي هذا المقطع يُقتل تموز وتنساب منه الدماء وبدلاً من أن تكون تلك الدماء مصدراً للخصب والنماء كما في الأسطورة، فإن الشاعر في هذه القصيدة يحولها إلى مصدر للجفاف، فهو هنا يوظف ذلك الرمز بشكل مغاير لما هو متعارف عليه، ففي هذا المقطع تتحول الدماء إلى ملح يفقد الأرض خصوبتها، فهي ليست شقائق أو قمحاً، وما هذا التصوير المعاكس لديه إلا نتيجة لحالته النفسية المريرة، فقد ذكر الدماء للدلالة على حالة اليأس التي يعيشها، فأضفى على ملامح الشخصية هنا ما يتناسب وواقع الحال الذي يعيشه هو وشعبه.

فكان السياب يمزج بين قريته جيكور وبين الأسطورة، ((إن التنسيق بين الرمز والأسطورة ضرورة فنية عندما لا يمكن للشاعر أن يفصح عن رأيه ولا يقدر على إعلانه، فيصبح الإيحاء الفني والإيحاء الشعري ضرورة في اتخاذ الرمز والأسطورة، وقد وفق السياب في شعره السياسي الرمزي توفيقا واضحاً))(٣٢) وبهذا

فقد أعطى السياب بعداً رمزياً لقريته جيكور، فكانت جيكور ترمز لديه إلى المكان الآمن، ولكنها كانت تعاني كباقي مدن العراق من الدمار والموت ((ومن هنا يأخذ اسم جيكور لفتة فنية حول رمزية هذا المكان...)) (٣٣) فما الرموز التي وظفها السياب في قصيدته هذه إلا تعبير منه عن انتمائه لقريته الريفية جيكور، التي كانت مصدر الدفء والأمان له .

وبعد ذلك الحزن الشديد الذي يتملكه، يعطي الشاعر صورة رمزية مصوراً موته بتوظيفه للأسطورة، فالثياب التي تدل على الأكفان تخفق من حيويتها، والأعشاب المرفرفة من حوله تدل على الأعشاب المتواجدة حول قبره، والبرق السريع ما هو إلا صورة لأولئك المشيعين لجثمانه المخادعين في حزنهم، ثم يوظف مجموعة من الرموز الدالة على أمله في الشفاء (لو يومض لو أنهض، لو أحيا لو أُسقي) إذ يتمنى استعادة صحته وقدرته على النهوض، والعيش من جديد من دون مرض ويتمنى أيضاً تقبيل عشتار له حتى ولو كانت قبلتها تؤدي به إلى الموت، فهنا يعود إلى حالته المريرة مصوراً الموت فيوظف أسطورة تموز عشتار من خلال لفظتي (ظلمة – عتمة) محاولاً الإشارة إلى أن عشتار التي منحت تموز الحياة ستمنحه هو الموت، وإن هذا الظلام سوف يهاجمه مؤدياً إلى موت حياته، التي رمز لها بالألق، فيبقى وحيداً مع الموت الذي رمز له بـ (العُتمة) فيقول:(٣٤)

عشتار وتخفقُ أثوابُ
وترفُ حيالي أعشابُ
من نعلٍ يخفق كالبرق
كالبرق الخلب ينسابُ.
لو يومض في عِرقي
نورٌ، فيضيء لي الدنيا!
لو أنهض، لو أحيا
لو أُسقى! آه لو أسقي!
لو أن عروقي أعناب!
وتقبل ثغري عشتارُ،
فكأن على فمها ظُلمه
تتثال عليَّ وتنطبقُ،
فيموت بعيني الألق
أنا والعُتمه..

ثم يقول: (٣٥)

جيكورُ.. ستولدُ جيكور:
النور سيورق والنورُ
جيكور ستولد من جُرحي،
من غصة موتي، من ناري

في هذه الأسطر الشعرية يوظف الشاعر رمزي (الولادة والنور) للدلالة على الحياة التي يتمنى انبعاثها من جديد في قريته كما حصل مع الإله تموز ((وهكذا فقد أمدت جيكور الشاعر وأوحت له بأفكار وموضوعات صلحت في كثير من الأحيان أن تكون رمزاً ومعادلاً للأم مرة والحبيبة والوطن والأمل مرة أخرى.)) (٣٦) وإن هذه الولادة لجيكور ستكون من جرح الشاعر ومن موته.

ومع هذه الولادة لجيكور لكن الشاعر يعود إلى الحزن مجدداً من خلال بعض الرموز التي جاء بها ومنها (السجن، ليل الطين الممدود، الدود) التي هي رموز دلت على مرضه الذي حبسه عن الحياة، وسهره مع الألم بذلك الجسد الممدود، ودلالة الدود على الموت، ولهذا لن يبقى سوى الموت الذي سوف يخفق وحده في قلب الشاعر، فيقول:(٣٧)

جيكور ستولد .. لكني
لن أخرج فيها من سجني
في ليل الطين الممدود
لن ينبض قلبي كاللحنِ
في الأوتار،
لن يخفق فيه سوى الدودِ.

وفي نهاية هذه القصيدة يعود لينفي الولادة لجيكور، مستذكراً الأسطورة مرة أخرى، وما هذا المقطع الأخير إلا رمز لما وصل له السياب من ألم جسدي وعذاب نفسي، فيشير إلى استحالة ولادة هذه القرية من جديد، لأن قُبلة عشتار تؤدي إلى قتله، والآمال ما هي إلا رمل منثور يدل على الموت المحتم للشاعر، فيقول:(٣٨)

والقُبلةُ برعمةُ القتل
والغيمةُ رملٌ منثورٌ
يا جيكور؟

وبهذا وكما يتضح من عنوان القصيدة أنه جعل من تموز إله الخصب رمزاً لنفسه،(٣٩) فيؤدي إلى تغيير دلالة الأسطورة البابلية إلى أسطورته هو مع جيكور، فحاول من خلال الأسطورة تموز أن يبين غايته النفسية، وكيف أن معاناته هي أكبر من معاناة تموز، فقُبلة الحياة التي وهبتها عشتار لتموز تصبح قُبلة الموت للسياب، ودماؤه لم تنبت شقائق أو قمحاً بل أنبتت ملحا يؤدي إلى الجفاف، ولهذا ((تؤثر الضغوط النفسية على حياة الفرد الجسمية والنفسية والاجتماعية.))(٤٠) فحاول السياب من خلال هذه الأسطورة بيان حالته النفسية الناتجة عن قلقه المرضي وعن اضطراب أحوال البلاد.

نتائج البحث:

توصلت في بحثي هذا إلى النتائج التالية:

١- لقد كان للغاية النفسية الدور الفاعل في لجوء الشاعر إلى تأدية المعنى من خلال الرمز للإشارة إلى المعنى المضمر في نفسه.

٢- جاء الإيحاء الرمزي معبراً عن الحالة النفسية والشعورية لكلا الشاعرين، محاولاً ترك بصمته الواضحة على متلقي العمل الأدبي، الذي يحاول كشف ما وراء العبارة وفهم غاية الشاعر منها.

٣- إن المقدمات الغزلية الرمزية في القصائد القديمة ومنها قصيدة (البُردة) لكعب بن زهير كانت تشكل ظاهرة فنية حاول الشاعر عن طريقها استمالة قلوب السامعين بما يقدمه من غزل، فضلاً عن تهيئة ذهن المتلقي لموضوع القصيدة الأساس، وما تلك المقدمات إلا رمز لواقع الحياة التي أراد الشاعر من خلالها التعبير عما في داخله، وإن تلك المقدمات العربية القديمة وما تحمله من دلالة رمزية لم تعد موجودة بكثرة في الشعر الرمزي العربي الحديث، كما لاحظنا ذلك في قصيدة السياب (تموز جيكور)، إذ أصبحت الرمزية الحديثة تعبر عن هموم الإنسان العربي وتناضل ضد الظلم بألفاظ موحية مؤثرة تعبر عن قضايا العصر الحديث.

٤- يعد الرمز من السمات المميزة في الشعر العربي المعاصر، ولاسيما الشعر الحر، وإن من سمات الشعر الحر هو توظيف الأساطير بالشعر وحضور الرمز في معظم القصائد والتعبير عن المشاعر وأعماق النفس الغامضة باللغة الإيحائية عندما لا يبتغي الشاعر البوح عنها بشكل مباشر، كما في قصائد السياب.

الهوامش:

١- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد : ٤١٥.

٢- أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم ، تسعديت آيت حمودي : ٢٧.

٣- أبحاث في الشعر العربي، د. نضال إبراهيم ياسين : ٢٣٥ .

٤- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، دراسة في بنية النص ودلالاته الفنية، د. حسن جبار محمد شمسي: ٢٤ .

٥- صورة المرأة في شعر كعب بن زهير ، سمير جعفر ياسين، مجلة قبس العربية : ٣١١ .

٦- ديوان كعب بن زهير، كعب بن زهير ، قرأه د.محمد يوسف نجم : ٨٤ .

٧- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، د.عبد الحليم حفني ١٠٤ .

٨- ديوان كعب بن زهير : ٨٥ .

٩- ينظر الأسطورة والشعر، عبد الرزاق صالح : ٢٨ .

١٠- شرح قصيدة كعب بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي: ١٦.

١١- طرة العلامة محمد الأمين بن الحسن على قصيدتي بانت سعاد ولامية العرب: ١٦.

١٢- شرح التاودي ابن سودة على قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير، د. احمد بن عبد الكريم نجيب، مجلة قطر الندى: ٣٣٥.

١٣- قراءة في بُردة كعب بن زهير، د.اسماعيل احمد العالم، مجلة البيان:٤٠.

١٤- ديوان كعب بن زهير: ٨٦.

١٥- بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، د. عمر بن عبد العزيز السيف:١٠٤، ١٠٥.

١٦- ديوان كعب بن زهير: ٩٠.

١٧- الرماد ثانية، تطور القصيدة الغنائية في الشعر العراقي الحديث، النصف الثاني من القرن العشرين، د.كاظم فاخر الخفاجي : ١٥٠.

١٨- الحركة النقدية حول السياب، محمد جواد حبيب محمد البدران، رسالة ماجستير: ٨٦.

١٩- الرمز في شعر السياب ديوان (انشودة المطر إنموذجاً)، مناف جلال عبد المطلب : ١٤ .

٢٠- ينظر الحركة النقدية حول السياب: ٨٦-٨٨ .

٢١- اعلام الشعر العربي الحديث، من احمد شوقي إلى محمود درويش، د.ميشال خليل جحا : ١٢٩ .

٢٢- ينظر الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ٢٨٩ .

٢٣- بواعث الألم في شعر السياب، نجاة علوان الكناني، مجلة دراسات البصرة : ١٠٧ .

٢٤- الرمز الأسطوري ودلالاته في شعر بدر شاكر السياب، راوي السعيد، مجلة العلوم الإنسانية.
نقلا عن موقع : https://www.asjp.cerist.dz

٢٥- مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث ، د.سالم احمد الحمداني : ٣٠٤ .
٢٦- الحزن في شعر بدر شاكر السياب ، د. خلف رشيد نعمان : ١٤٨.
٢٧- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي) ، محمد علي كندي : ٢٨٩ .
٢٨- ينظر معجم الأساطير، لطفي الخوري: ج١/٢٠٢.
٢٩- الرمز في الشعر العربي المعاصر، رواد الشعر الحر في العراق د.مسلم حسب حسين: ١٤١.
٣٠- المكان ودلالاته في شعر السياب، محمد طالب غالب البجاري، رسالة ماجستير: ١٣ .
٣١- المجموعة الشعرية الكاملة، ج (٢،١) بدر شاكر السياب: ٢٢٣ .
٣٢- التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، د. يوسف عزالدين ٢٣٣ .
٣٣- التراث في شعر بدر شاكر السياب، د. تيسير محمد الزيادات: ٩٥ .
٣٤- المجموعة الشعرية الكاملة، ج (٢،١) :٢٢٣.
٣٥- نفسه: ٢٢٣، ٢٢٤.
٣٦- أبحاث في الشعر العربي: ٧٩.
٣٧- المجموعة الشعرية الكاملة، ج (٢،١) : ٢٢٤ .
٣٨- نفسه : ٢٢٤، ٢٢٥ .
٣٩- ينظر الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: ٢٩١.
٤٠- الإنفعالات، نموها وإدارتها، د. راهبة عباس العادلي: ١١٩.

المصادر والمراجع :

اولاً: الكتب :

١- أبحاث في الشعر العربي ، د. نضال إبراهيم ياسين، تموز – ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ، ٢٠٢٠م .
٢- أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، تسعديت آيت حمودي ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان – بيروت، ١٩٨٦م.
٣- الأسطورة والشعر، عبد الرزاق صالح، دار الينابيع طباعة – نشر – توزيع، سورية – دمشق، ٢٠٠٩م.
٤- أعلام الشعر العربي الحديث، من أحمد شوقي إلى محمود درويش، د. ميشال خليل جحا، ط ٢ ، دار العودة، بيروت ،٢٠٠٣م.
٥- الإنفعالات، نموها وإدارتها، د. راهبة عباس العادلي، فينوس للحاسبات والطباعة والترجمة، بغداد، ٢٠١٠م.
٦- بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، د. عمر بن عبد العزيز السيف، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان- بيروت، ٢٠٠٩م.
٧- التجديد في الشعر الحديث، بواعثه النفسية وجذوره الفكرية، د. يوسف عزالدين، ط٢، الناشر دار المدى للثقافة والنشر، سوريا- دمشق، ٢٠٠٧م.

٨- التراث في شعر بدر شاكر السياب، د. تيسير محمد الزيادات، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، ٢٠١٦م.
٩- الحزن في شعر بدر شاكر السياب، د.خلف رشيد نعمان، الدار العربية للموسوعات ، لبنان – بيروت، ٢٠٠٦م.
١٠- ديوان كعب بن زهير، قرأه د. محمد يوسف نجم، ط٢، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان – بيروت، ٢٠٠٢م.
١١- الرماد ثانية، تطور القصيدة الغنائية في الشعر العراقي الحديث، النصف الثاني من القرن العشرين، د. كاظم فاخر الخفاجي، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا- دمشق، ٢٠١٢م.
١٢- الرمز في شعر السياب، ديوان (انشودة المطر إنموذجاً) ، مناف جلال عبد المطلب، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد، ٢٠٠٩م .
١٣- الرمز في الشعر العربي المعاصر، رواد الشعر الحر في العراق، د. مسلم حسب حسين، جيكور للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان- بيروت، ٢٠١٨م.
١٤- الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، د. محمد فتوح أحمد، ط٣، طبع بمطابع دار المعارف، مصر، ١٩٨٤م.
١٥- الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث (السياب ونازك والبياتي)، محمد علي كندي، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان – بيروت، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، الجماهيرية العظمى- طرابلس، ٢٠٠٣م.
١٦- شرح قصيدة كعب بن زهير في النبي صلى الله عليه وسلم، للإمام أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، حققها ف. كرنكو، قدم لها د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٩٧١م.
١٧- طرة العلامة محمد الأمين بن الحسن على قصيدتي بانت سعاد ولامية العرب، اعداد مركز المربي للاستشارات التربوية والتعليمية، المدينة المنورة، ٢٠١٨م.
١٨- المجموعة الشعرية الكاملة، ج (٢،١)، بدر شاكر السياب، منشورات دار مية، سوريا – دمشق، ٢٠٠٦م.
١٩- مذاهب الأدب الغربي ومظاهرها في الأدب العربي الحديث، د. سالم أحمد الحمداني، دار النشر جامعة الموصل – كلية الآداب، العراق، ١٩٨٩م.
٢٠- مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية، د.عبد الحليم حفني ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٧م.
٢١- معجم الأساطير، لطفي الخوري، ج١، طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، العراق- بغداد، ١٩٩٠م.
٢٢- ملامح الرمز في الغزل العربي القديم، دراسة في بنية النص ودلالاته الفنية، د. حسن جبار محمد شمسي، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، بريطانيا – لندن، ٢٠٠٨م.

ثانياً: الدوريات:

١- بواعث الألم في شعر السياب، نجاة علوان الكناني، مجلة دراسات البصرة، جامعة البصرة، العدد الثاني عشر، السنة السابعة ٢٠١١م.

٢- شرح التاودي ابن سودة على قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير، دراسة وتحقيق د. أحمد بن عبد الكريم نجيب، مجلة قطر الندى، توزيع المكتبة التوفيقية، العدد العاشر، القاهرة، ٢٠١٢م.

٣- صورة المرأة في شعر كعب بن زهير، سمير جعفر ياسين، مجلة قبس العربية، الجامعة المستنصرية، مكتب النعيمي للطباعة، بغداد، العدد الثاني، ٢٠٠٦م.

٤- قراءة في بُردة كعب بن زهير، د. اسماعيل احمد العالم، مجلة البيان، تصدرها رابطة الأدباء في الكويت، العدد٢٧٥، شباط١٩٨٩م.

ثالثاً : الرسائل الجامعية :

١- الحركة النقدية حول السياب، محمد جواد حبيب محمد البدران، رسالة ماجستير، جامعة البصرة – كلية التربية، ١٩٩٥م.

٢- المكان ودلالاته في شعر السياب، محمد طالب غالب البجاري، رسالة ماجستير، جامعة البصرة – كلية التربية، ١٩٩٨م.

رابعاً: المواقع الالكترونية على شبكة الأنترنت:

١- الرمز الأسطوري ودلالاته في شعر بدر شاكر السياب، راوي السعيد، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة – الجزائر، المجلد ١٩، العدد١، مارس ٢٠١٩م.

نقلاً عن موقع: https://www.asjp.cerist.dz